مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 11 / العدد: 03 (2023)، ص: 20- 45

# التباين الدلالي للصفات بين الجنسين (كتاب فقه اللغة وأسرار العربية نموذجًا تطبيقيًا)

# Semantic differences of traits (adjectives) between genders The Book of Figh Allugha was SiruAlarabyah as an Applied ) (Model

حازم بن فهد السند[1]
[1] جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية)،
halsanad@ksu.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2023/07/06 تاريخ القبول: 2023/09/10 تاريخ النشر: 2023/10/10

**ملخص:** عمل هذا البحث على النظر في بابٍ من كتاب الثعالبي (فقه اللغة وسر العربية)، تتبع فيه الصفات المسندة إلى كلا الجنسين، لتتبين الطريقة التي تتعامل بها اللغة في إعطاء الصفات لكل جنس، وقد انطلق البحث من عدد من الفرضيات المدروسة في حقل اللغة والجندر، وقد خلص إلى أن كثيرًا من تلك الفرضيات قد تحققت في هذا الكتاب، ففيه مواضع بدا فيها ما يمكن تفسيره بأنه احتقار للمرأة، وفي أخرى بأنه صنفها تصنيفًا ضيقًا، وفي مواضع كان يتجاهلها، كما انتهى إلى أن المرأة تُعرض من حيث شكلها، والرجل من حيث فعله، بالإضافة إلى أن المرأة تعرّف من خلال دورها الاجتماعي، ونظرة الرجل لها، لا من خلال ذاتها،كما يمكن القول بأن الدلالة الإيحائية للألفاظ المستعملة للمرأة تنحو إلى السلبية، بينما الرجل فإلى الإيجابية.

**كلمات مفتاحية:** الجندر، اللغة العربية، الجنوسة، التحيز الجنسي، النسوية.

**Abstract:**

This research investigated a chapter from Al-Thaalibi's book (Figh Allugha was SiruAlarabyah), tracing adjectives that

given to each gender. It apparently shows the way in which the language deals with giving adjectives to each gender, the research started from a number of hypotheses in the field of language and gender.

It concluded that many of those hypotheses have been fulfilled in this book; there were places where woman has been contempt, and in other places, language classified (woman) narrowly, and sometimes, (woman) were totally ignored. It also concluded that woman is presented in terms of her appearance, and man in terms of his actions, it shows also that, woman is defined by her social role and man's view of her, not by herself. It can also be said that the connotations of the adjectives used for women tend to be negative, while that used for men tend to be positive.

**Keywords:** Gender; Arabic; Gendre bais, Feminism.

---

**المؤلف المرسل:** حازم بن فهد السند،

**تمهيد:**

سعى هذا البحث إلى استكشاف كيفية تعامل اللغة العربية مع الجنسين (الذكر والأنثى) كما يعرضها كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبي، وكيف تقوم بدورها في إعطاء كل جنس صفاته وخصائصه من خلال الألفاظ المبذولة لكلا الجنسين، أسماء كانت أم صفات. وتعد هذه الدراسة دراسة دلالية لغوية اجتماعية، فهي تُعنى بدلالة الكلمات وما تحمله من معانٍ، وهي لغوية اجتماعية لأنها تصل إلى المجتمع وفكره، وتعكسه وتعبر عنه من خلال الأداة اللغة.

**فرضية البحث:**

يعتمد البحث على فرضية أن اللغة تعكس الرؤية المجتمعية –الجمعية- للواقع بمختلف جوانبه، خصوصًا فيما يتعلق باللغة والجندر، فتبرز اللغة معبرةً

عن رؤى اجتماعية محددة من خلال تخصيصها ألفاظًا لتصف أو تحدد معالم كل جنس. كما تنطلق من مبدأ أن اللغة –بنموذجها في فقه اللغة للثعالبي-في تعاملها مع التذكير والتأنيث قد انطلقت من أن الرجل يوصف بفعله، والمرأة توصف بمظهرها، كما أن هناك فرضية جوهرية هي أن الكتاب (فقه اللغة) بُني على واحد أو على جميع أنواع التحيز الثلاثة ضد المرأة: (1) تجاهلها، (2) تحديد مفهوم المرأة بشكل ضيق، (3) أو احتقارها، وهي ذاتها الفرضيات التي عملت عليها، وعززتها دراسات سابقة أجريت في عدد من الثقافات الأخرى.

**مشكلة البحث:**

التباين في دلالة الألفاظ ومعانيها فيما يتعلق بأسماء وصفات المرأة والرجل في كتاب (فقه اللغة)، وما تحمله من إيحاءات؛ هو ما يدفع الكاتب إلى طرق هذا الموضوع منطلقًا من أن هناك ثمة ألفاظًا تُستخدم لوصف كل من الجنسين من عدة نواحٍ (أخلاقية، خَلقية، عاطفية)، فيسعى للوصول إلى إجابات عن التساؤلات حول كيفية تعامل اللغة (ممثلةً بكتاب فقه اللغة) مع هذا الأمر، كما يعتني البحثُ بالعلاقة بين اللفظ الموضوع للرجل وبين اللفظ الموضوع للمرأة في الباب نفسه؛ لرصد طريقة التفكير المنِتج لهذه اللغة، مستفيدًا من نظرية الحقول الدلالية، ومن الدراسات السابقة التي عُنيت بالموضوع، والنتائج التي خلصت إليها.

**أسئلة البحث:**

- هل تعاملَ كتاب (فقه اللغة وأسرار العربية) بحيادية في إضافة أسماء وصفات للجنسين (الذكر والأنثى)؟.
- هل كتاب (فقه اللغة) يحتقر المرأة، أم يصنفها تصنيفًا ضيقًا أم إنه يتجاهلها، أم يجمع هذه الأنماط الثلاثة فيه؟
- هل عُرضت المرأة من حيث مظهرها، والرجل من حيث فعله؟.

- ما الإيحاءات التي تضفيها اللغة على الأسماء والصفات على كل جنس؟.

**محدودية البحث:**

اختار الباحث بابًا واحدًا (بما يمثل حقلًا دلاليًا مستقلًا) ليكون أكثر دقة في التصنيف، كما أنه ضمن نظرية الحقول الدلالية من الأيسر –لبحث بهذا الحجم- أن يركز على باب واحد، يربط بين أعضائه، ويحلل علاقاته. وبذلك، فأساس المادة التي ارتكز عليها البحث هو (الباب السابع عشر)، مع شيء من الخروج إلى الأبواب الأخرى لأغراض يستدعيها المقام.

ويتطرق البحث للخلفية العلمية التي تحكم مثل هذه الموضوعات، في تداخلها بالاجتماعي والثقافي والتاريخي، ويقدم عرضًا لعدد من الدراسات السابقة التي اهتمت بهذا الميدان، ثم ينطلق في تعريف (المدونة) والتركيز على (الباب السابع عشر) المتعلق بوصف كلا الجنسين، متتبعًا في ذلك ما انفرد به كل جنس، والاختلافات بينهما، كذلك البحث عن متفقات إن وجدت، يلي ذلك تحليل للنتائج.

**منهجية البحث:**

تقوم هذه الورقة بتتبع الأوصاف والأسماء (للجندر: الذكر والأنثى) التي استعملها الثعالبي في كتابه (فقه اللغة)، للنظر في توجهها وميولها إذا كانت تقدم وصفًا للمرأة مماثلًا في معناه ورتبته للوصف ذاته للرجل أو غير ذلك. كما تتبع متى يهمل الثعالبي المرأة في بعض فصول كتابه، ومتى يخصها بفصل ليس له نظير للرجل، مع الرجوع في بعض الألفاظ إلى المعاجم الأخرى للنظر في دلالاتها ومعانيها قبل تخصيصها للرجل أو المرأة. وفي هذا سعي لتطبيق ما يعرف بالدلالة المعجمية (Lexical Semantics) وهو الحقل العلمي الذي يبحث معاني الكلمات وعلاقاتها... انظر: (Fromkin, V. Rodman, R. Hyams, N. 2003، ص 173)، كذلك الاستعانة ببعض منطلقات نظرية (الحقول الدلالية) من حيث

**التباين الدلالي للصفات بين الجنسين (كتاب فقه اللغة وأسرار العربية نموذجًا تطبيقيًا)**

دراسة العلاقة بين المفردات داخل الحقل الدلالي الواحد، وعلاقاتها بالعناوين الرئيسة بشكل عام.

وقد استعملت في تتبع هذه الألفاظ الكلمات التي تدل على الجندر (المرأة، أو الرجل) لأنظر أين وضعها الثعالبي وكيف استعملها، مستخدمًا برامج حساب التكرار لكلمات بعينها، مثل برنامج وورد (Word)، في خاصية (البحث).

**الخلفية العلمية، والدراسات السابقة:**

حقل الدراسات الجندرية (Gender Studies)، خاصة تلك التي تُعنى باللغة والجندر، من حيث استعمال كل جنس للغة، والاختلافات اللغوية بينه وبين الجنس الآخر، وتعامل اللغة نفسها وتركيبتها البنيوية بما يتعلق بالجنسين؛ حقلٌ واسعٌ، أُجريت فيه مئات الدراسات، فهو كأي ظاهرة اجتماعية، جذبت أنظار الكثير من الباحثين بمختلف توجهاتهم واهتماماتهم، حيث تتعدد معالجة الباحثين في اللغة والجندر من حقل إلى آخر، فينطلق البعض من ناحية الابتكار المعجمي (المفردات) كـ (Jespersen, 1922) أو من حيث النطق (الصوت): (Coates, 1986)، ومن حيث القواعد: (Key, 1975) ومن حيث أسلوب التواصل:(Maltz and Borker, 1982) .

وهذه الدراسات وغيرها، توصلت إلى نتائج متباينة، كثير منها لا يلبث طويلًا حتى تأتي دراسات أخرى تفصّل فيها وتطورها، وربما تنقضها. ومن أهم الأطوار التي غيَّرت في مسيرة البحث اللغوي الجندري هي الحركة النسوية الثانية (Second Feminism Movement) التي بدأت أواخر 1960 وأوائل 1970 (Sunderland, 2006, p. 2) إذ أحدثت تحولًا كبيرًا في رؤية المرأة للعالم، ومحاولة عكس هذا التطور الكبير على اللغة، التي كانت لاتزال تحمل الرؤى القديمة البدائية ضدها، وقد عدَّ الكثير من الباحثين أن تغيير اللغة لتكون

محايدة غير مجنسة (non-sexist) هو أهم خطوة لدفع التحرك نحو مساواة المرأة بالرجل، خلافاً لما ذهب إليه آخرون في أن اللغة سوف تتغير تبعًا للتغير الاجتماعي بشكل طبيعي.

ويحسن هنا تحديد مفهوم الجندر (Gender)، على الرغم من أنه مصطلح يصعب تحديد معناه، ولكونه كثيرًا ما يعاد تعريفه، وقد كان لهذا المصطلح استعمالات قبل 1970، تدور أغلبها حول الجوانب النحوية لتمييز الجنس (مذكر أو مؤنث)، كونه ذا بعد بيولوجي، ولم يكن ذا صلة وطيدة بأي تصنيف اجتماعي، وقد أخذ المصطلح (gender) في التغير تزامنًا مع الحركات النسوية، ليكون مرتبطًا بدلالات اجتماعية، مقابل كلمة (sex) التي تدل على الجوانب البيولوجية. (Kiesling, 2019, pp. 21-22)

وكان من أبرز الاتجاهات التي عملت عليها دراسات اللغة والجندر ثلاثة اتجاهات لمقاربة الاختلاف بين لغتي الرجل والمرأة، وهي على التوالي: اتجاه النقص والقصور (Deficit Approach) (انظر: Lakeoff, 1975)، واتجاه السيطرة (Dominance Approach) (انظر: Spender, 1990)، واتجاه الاختلاف (Difference Approach) (انظر: Tannen, 1992). وكل اتجاه سعى ليثبت فرضيات جديدة، وهو الأمر الذي أحدث الكثير من الأثر في نمط الدراسات الجندرية بشكل عام.

أما فيما يتعلق باللغة والجندر، من حيث تعامل اللغة مع الذكر والأنثى، فإن آن ويذرال (Weatherall) -وهي متخصصة نفسية لغوية- عدَّدت ثلاثة أشكال لتحيز اللغة ضد المرأة، هي: تغييب المرأة وتجاهلها (Invisible Woman) حيث لا يرد ذكر مفرد للمرأة، إذ تكون مضمَّنة داخل اللفظ المذكر أو الضمير المذكر، ومن الدراسات المؤيدة لهذا المذهب ما انتهت إليه كالداس كولتهارد Calds-Coulthad (1995) دراسة تتبعت فيها عددًا من الصحف الأمريكية،

وانتهت إلى أن طبيعة أسلوبها يدل على أن كتابها رجال، وأنها أيضًا تتحدث عن رجال، وليس هناك ثمة وجود للمرأة فيها. كذلك قامت بودين Ann Bodine (1975) بدراسة قواعد اللغة الإنجليزية وألفاظها لتخلص إلى أن كثيرًا من القواعد تأتي في المذكر، وعلَّلت ذلك بأنه عائد إلى أن قدماء النحويين الإنجليزيين كانوا رجالًا، ومن أمثلتها استعمال ألفاظ (اسم الجنس) كـ (Mankind) لتشمل الجنسين كليهما. ويعترض النسويون على أسماء الجنس المذكرة الأصل زاعمين أنها غامضة، وتمييزية (عنصرية)، كما أنها قد تشير إلى المذكر بشكل خاص، أو يُقصد بها أن تكون محايدة أيضًا، وبذلك فإنها قد لا تحيل إلى مؤنث أبدًا في بعض الحالات... وخلص هذا الاعتراض إلى أن هذا التذكير ما هو إلا شكل من أشكال التحيز الجنسي، ومثل هذا يحدث في العربية، في أن الأصل هو (المذكر) كما يذكر سيبويه في كتابه "... وإنما يخرج التأنيث من التذكير..." (سيبويه، 1988، صفحة 22:1)! وعلى كلٍ، فنجد رأي (بودين) يخالفه رأي أبي أوس الشمسان الذي يرى أن علامة التأنيث هي "حيلة لغوية ظاهرة الحكمة... وأنها اختصار للألفاظ. وليست إضافة علامة التأنيث إلى لفظ التذكير بدالٍّ على تحيز جنسي"، مشيرًا إلى أن الخطاب في الأصل عام لا تمايز جنسي فيه، ومن ثم مُيِّز المؤنث بعلامة، وربما كان بالإمكان تمييز المذكر بدلًا عن ذلك. (الشمسان، 1433، الصفحات 272-273). إلا أننا نلمس أن ما عرضته (بودين) أكثر حجية إذ إن التحيز واقع لامحالة لأن الألفاظ المذكرة، التي يمكن أن تستعمل للمؤنث والمحايد، لا يمكن أن تدل على مؤنث بشكل خاص وبمعزل عن أي إيحاءات أخرى. وثمة مثال آخر على تضمين المرأة في المذكر في العربية (أو تغييبها كما هو مصطلح ويذرأل)، فإنه يجوز تغليب المذكر، وذلك حين يأتي لفظ دال على جمع يشمل ذكورًا وإناثًا، فكما يرى

سيبويه فإنه يصار إلى تغليب المذكر على المؤنث. (الشمسان، 1433، صفحة 280)

ويظهر تجاهل المؤنث معجميًا في استعمال ألفاظ المذكر في أحوال يكون فيها نقص في المفردات المخصصة للمرأة، وهذا قد يعود إلى قلة تجربة المرأة فيها وتحكم الرجل في ذلك، خاصة فيما يتعلق بالكلمات أو الأوضاع الجنسية، حيث يضع الرجالُ المفرداتِ بناء على تجربتهم، فتكون المرأة دائما سلبية... (Weatherall, 2002, p. 19)

وهذا ما يؤيده برهومة، إذ يرى أن كثيرًا من المفردات تشير إلى دور المرأة في المجتمع، ونظرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أدوارها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا ما يفسر وفرة المفردات الحسية للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها. (برهومة، 2002، صفحة 103)

أما الشكل الثاني لتحيز اللغة ضد المرأة فيتمثل في تحديد المرأة بشكل ضيق (Narrowly Defined Woman) ويقصد بذلك أن دور المرأة في اللغة وفي المجتمع يكون محدودًا ضمن أطر معينة لا يمكن الخروج منها. ومن ذلك أن تركز اللغة على ما يفعل الرجل، وفي المقابل فإن اللغة تركز على مظهر المرأة، ويتمثل ذلك أيضًا في التسمية، فالمرأة تأخذ اسم زوجها (في الثقافة الغربية) بعد الزواج منها، كما أنها تتلقب بأحد ثلاثة ألقاب (Mrs) للمتزوجة، (Miss) لغير المتزوجة و (Mrs) لمن لا تريد الإفصاح عن واقعها الاجتماعي... بينما الرجل فيكتفي بـ (Mr) حيث يصح إطلاقه على كل الحالات الاجتماعية، فلا يُربط الرجل بظرف اجتماعي أو ثقافي أو غير ذلك، على خلاف ما وضع للمرأة. مع ملاحظة أن استعمال (Mrs) لوحده قد يوحي بمعانٍ فكرية وسياسية أخرى قد لا تفضل المرأة إيحاءاتها. وقد يكون من هذا الباب استعمال ألفاظ تدل على المرأة -بشكل غير مباشر -تحدد قيمتها ودورها من ذلك قول "الأهل" للإشارة إلى الزوجة، أو "أم العيال" أو حتى

(تكنيتها) كما هو الحال في نجد الجزيرة العربية، وقد ظهرت تسميات جديدة في وضع اسم الزوجة في جوال الزوج، حيث نجد البعض يسمي زوجته (وزارة الداخلية، أم العيال، جوانتاناموا، البعبع...) (انظر: ريم سليمان. دعاء بهاء الدين، 2012) وغير ذلك من ألقاب وأسماء وما يتبع ذلك من اختلاف في درجات الاحترام وقد تؤدي إلى أن تحمل معاني إضافية أخرى، وهو ما عرَّفه اللغويون بالدلالات الإيحائية (Connotations) التي تعني أن القيمة الاتصالية لكلمة ما تختلف عن دلالتها الإشارية (Referential)... (انظر: Dirk Geeraerts, Hubert Cuyckens , 2007, p. 995) ، ومحور (تحديد دور المرأة ومفهومها) بارز الحضور في الثقافة العربية، فالمرأة في تحليل دلالي قام به باحثٌ بيّن فيه أن اللغة قد عرضت المرأة من حيث دورها في الأسرة، بل وخصتها بألفاظ تدل على أصالة مكثها في البيت وعدم مغادرته، ومن ذلك المقارنة بين كلمتي (أب) و (أم)، ومعنى كلمة (نساء) التي تدل على (البطالة)... (انظر: المرأة العربية والمتغيرات الأساسية في عصرنا الحالي: أ. الخليل، مجلة دراسات عربية، 1973).

الشكل الثالث لتحيز اللغة ضد المرأة هو احتقارها، وشيطنتها، (Demean women) ومن ذلك أن المفردات الذكورية للذكور تحمل معاني إيجابية، بينما مقابلاتها الأنثوية فهي تحمل دلالات سلبية، مثل كلمة (Bachelor) للمذكر، وكلمة (Spinster) للمؤنث، أو دلالة (Master) للرجل، و(Mistress) للمؤنث... (Thomas, Wareing, Singh, Peccei, Thornborrow and Jones, 2004, p. 81)

وينقل عدد من الباحثين أن الكتابة عمل ذكوري خالص، لا يقبل أن تدخله المرأة، والمرأة التي تحاول دخوله فإنها تتحول إلى (ذكر) أو تصبح (فحلة)... (انظر: المرأة واللغة: عبدالله الغذامي، سطوة النهار وسحر الليل: عبدالمجيد جحفة، وسوسيولجيا الغزل العربي، الشعر العذري نموذجا: الطاهر لبيب). وقد

نقلت الباحثة سعاد المانع أن الرجل لا يريد أن تكون المرأة فصيحة، لأنه من صنع اللغة، وهو من يضع معاييرها وخططها. (انظر: النقد الأدبي في الغرب وانعكاساته على النقد العربي الحديث: سعاد المانع، 1998).

ويشير سعيد بنكراد في ترجمته لفصل من كتاب (الكلمات والنساء) لـ مارينا ياغيلو، أن اللغة تنقلنا من الواقع الطبيعي إلى الواقع الثقافي، وأن هناك كلمات مثل (رجل) في اللغة الفرنسية تدل على الجنس البشري، وتدل على المذكر بشكل خاص، أما كلمة (امرأة) فتدل على الأنثى فقط، ولا تأخذ الحيز الكامل كما لكلمة (رجل)، إضافةً إلى أن الإيضاحات باستعمال أمثلة متعلقةٍ بالإيحاءات تعطي دلالات أخرى للمعنى، فـ(مرأة) في هذا السياق، حيث تدل على "الضعف والوهن والجبن" فضلًا عن تفعيل الأضداد والمترادفات والتي بدورها تفيد معاني أخرى حيث "ترتبط كلمة امرأة بالشر والخديعة والتحايل..." وهذا يبين الفروق الشاسعة بين الكلمتين (رجل) و(امرأة).

وقد عمد بنكراد إلى بحث كلمتي (ذكر) و(مؤنث) في معجم (لسان العرب)، واصفا نفسه بأنه " [ي]فعل ذلك لتأكيد البعد الكوني للغة في تصنيفها للمرأة وتأبيد اضطهادها"

يرى بنكراد أن لفظتي مذكر ومؤنث فيما يتعلق بالتصنيف الجنسي، أتتا محايدتين، ولكن في حال الاشتقاقات والتفتح على السياق، فإن الأمر يختلف جدًا، حيث نجد معاني متباينة، فـ"نلاحظ وجود قيمة دلالية واحدة تجمع بين سياقات مختلفة تحيل عليها كلمة "الأنثى"، ويتعلق الأمر بـ " الضعف" المتولد عن: " اللين" و"السهولة" و" غياب الشدة" و" انتفاء الوعورة ". وكذلك الأمر في حالة كلمة " مذكر" فسياقاته المتنوعة تحيل على ذاكرة دلالية واحدة يمكن تجسيدها في: "القوة"، كما توحي بذلك "الشدة "و"الوعورة" و"الصعوبة" و"السيف القاطع" و"اليوم الشديد" و"المطر الوابل". ونجد شبيهًا بهذا التقصي لمعنى الذكورة والأنوثة

**التباين الدلالي للصفات بين الجنسين (كتاب فقه اللغة وأسرار العربية نموذجًا تطبيقيًا)**

لدى الطاهر لبيب، حيث رسم جدولًا عرض فيه لمشتقات كلمتي "ذكر وأنثى"، كما أشار إلى أنه يجد في هذه المشتقات فصلًا جذريًا بين الجنسين، بالإضافة إلى أن هناك سمة أخرى وهي غلبة صفات الذكورة. كما أرجع الطاهر لبيب التعارض (الجذري) بين الرجل والمرأة إلى اللسان العربي الذي أقامه داخله. (لبيب، صفحة 21). ويمكن عدُّ ما قام به بنكراد نوعًا من استثمار ما يسمى بـ العلاقات المعجمية السياقية التي سماها بورزنغ (Porzing) علاقات المعنى الأساسية ( Essential Meaning Relations)، والتي تعني أن الكلمة تضم كلمة أخرى وترتبطان معًا في علاقة دلالية أساسية، ويجب أن تكون المفاهيم التي تحملها الكلمة ظاهرًا أو ضمنًا منتمية إلى الحقل الدلالي نفسه الذي تتبع له تلك الكلمة. (Geeraerts, 2010, p. 58).

أما ما يتعلق بترجمة الفصل الخامس من الجزء الثاني في كتاب (الكلمات والمرأة) فقد تحدثت (ياغيلو) أن لكل كلمة وجهًا (تقريريًا)، وآخر إيحائيًا، وثالثًا يخص التداعيات... وألمحت إلى أن المعجم (أي معجم) لا يمكن أن يكون محايدًا، بل إنه "إبداع أيديولوجي".

وقد قسَّمت المعاجم بحسب نوعية تأليفها وطبقة مؤلفها، لتخلص إلى أن كل معجم هو تصوير لثقافة مؤلفه، وتوجهاته الفكرية والسياسية، كما تنص على أن خلف القاموس "الذي يبدو وكأنه إبداع مجهول، يختفي مؤلفون أي أفراد. فالقاموسي يشكو من طابوهات وممنوعات، وخاضع لنماذج شعورية أو لاشعورية. إنه، وهو يقدم تعريفا لـ"رجل" أو "امرأة"، يقع تحت طائلة ما تمليه عليه القوالب الثقافية والإرغامات الاجتماعية". وقد أوردت الكاتبة أمثلة لعدد من المعاجم الفرنسية مثل (Larousse. 1940) أن "رجل (1 : >كائن ذكر، 2) ممثل لفصيلة .ويقول عن "امرأة": رفيقة الرجل، زوجة، تلك التي كانت أو مازالت

متزوجة". وكذلك يعرَّف (Littré) الرجل باعتباره (homo)، ولكنه لا يميز بين (homo) (كائن بشري) وبين (vir) (عنصر). والحال أن المرأة تعد جزءًا من (homo). وبناء عليه فإن (Littré) لا يقيم أي تمييز بين امرأة ورجل، وهو أمر يكشف عن أن القاموسي يقيم معادلة لاشعورية بين الذكر والفصيلة البشرية". وكذلك لدى " Le Petit Robert فإنه يقدم التعريف التالي لـ "امرأة" : 1) كائن مؤنث يحبل ويلد أطفالًا، أنثى الفصيلة البشرية، 2) زوجة، 3) ربة بيت. أما ( Le Grand Robert) فيعطي التعريف التالي لـ "امرأة" : 1) كائن بشري، أنثى، 2) تلك التي كانت أو مازالت متزوجة، 3) ربة بيت".

فالملاحظ أن هذه التعريفات تصنف المرأة بيولوجيًا، خالصةً إلى أنها في النهاية يجب أن تكون (أمًا)، وهذا –بطبيعة الحال- يحمل إهمالًا للشواذ والعواقر والمشوهات التكوين... وعلى العكس فالرجل يسمى رجلًا من دون ارتباط بإنجاب! أما ما يتعلق بالإحالات التناظرية والضدية لكلمة امرأة وكلمة رجل فلدى ( Grand Robert): "دائمًا نعثر على: "فحل"= شجاع، حيوي، صارم؛ وضده : "أنيث، مؤنث"، والنتيجة هي أن : مؤنث = ضعيف، نذل، بدون حيوية".

وقد أشارت ياغيلو إلى أن الألفاظ التي تحط من شأن المرأة أكثر بكثير من تلك المحايدة أو التي تعلي من شأنها... كما عرضت لفكرة أن القواميس بشكل عام تتحرز من العنصرية ضد الأعراق الأخرى، ولكنها تتغاضى عن الإساءة للمرأة والتنقص منها.

ومما يدعم ماذهبت إليه ياغيلو الرؤيةُ الاجتماعيةُ التي تزعم أن المرأة تتحدث هراءً، وكلامها في مجمله تافه، وبناء على ذلك فإننا نجد بعض الاختلافات في وصف كلام المرأة وكلام الرجل، وقد كانت هناك إشارة من(ويرزبيكا) أن الأستراليين يستخدمون كلمة (Yarn) لوصف حديث الرجال مع الرجال، بينما يستخدمون (Chat) لوصف حديث النساء مع النساء، وما يتبع ذلك من حذر في

الخلط في استخدام كلتا الكلمتين، فالأولى تستخدم بمعنى إيجابي، حيث يمكث الرجال يتحدثون في مختلف الموضوعات الجادة والرصينة أو حتى الطريفة والوادعة، لكن (Chat) للنساء كون أكثر حديثهن لغوًا وتفاهة ! ( Wierzbicka. 1997).

**تعريف بكتاب فقه اللغة وسر العربية:**

مؤلفه: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، المتوفى سنة 430 للهجرة، وهو منتمٍ إلى العصر العباسي الثالث، نشأ في نيسابور، وله العديد من المؤلفات والتصانيف بما يزيد على العشرين، ومن بينها هذا الكتاب: "فقه اللغة وأسرار العربية".

الكتاب: من المصنفات اللغوية التي سعى فيها الثعالبي لجمع "نكت أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله...". وقد قسَّم كتابه إلى أبواب وفصول، القسم الأول منه مكوَّن من ثلاثين بابًا، تتوزع على ما يقارب ستمئة فصل. وكان يجمع في كتابه الأشباه والنظائر في الصفات والأسماء. (انظر: مقدمة الشارح: الثعالبي، 2002). وتكاد تكون الغاية التي سعى في تحقيقها الثعالبي هي ذكر المعنى الدقيق لكل كلمة، وتبيان الفروق بين الكلمات التي كانت لها أهمية كبيرة (زواوي، 2008، صفحة 36).

والطبعة المعتمدة هنا هي طبعة المكتبة العصرية بـ بيروت، (2002)، بشرح وتعليق ياسين الأيوبي.

**العرض:**

يركز هذا البحث على ما ذكره الثعالبي حول صفات الرجل والمرأة خَلقًا وخُلقًا، حسنها وسيئها. وتُستعمل عدة أدوات تحليلية دلالية لدراسة اختيار الثعالبي الألفاظ لكل جنس، والقيام بمحاولة ربطها بالفصول اللاحقة والسابقة

في الباب نفسه. وقد اختير (الباب السابع عشر) لأنه أكثر الأبواب في كتاب (فقه اللغة) معالجةً للمعالم الجسدية والأخلاقية للحيوان، ومقاربته ستسهم كثيرًا في إدراك رؤية الثعالبي للمرأة والرجل، وكيفية استخدامه للغة في بناء هذا الباب.

ما يشتمل عليه الباب من فصول:

الباب السابع عشر: في ذكر ضروب الحيوان (ما يتعلق بموضوع البحث):

الفصول: 1.2.3: الأنام، البشر بنو آدم في الفصل الأول فقط.

الفصلان: 4.5: فيهما معالجة لصفات (إنسانية) خَلقية وخُلُقية: أما الألفاظ التي استعملها فهي: "الرجل".

الفصل:6: وهو بعنوان: "في معايب خَلق الإنسان سوى ما مر منها فيما تقدمه"، وتتضمن 41 صفة خَلقية.

ولابد من التساؤل إذا ما كانت كلمة (إنسان) قد تعني لدى الثعالبي الرجل والمرأة كليهما، ونجد هذا الفصل بالتحديد يوحي بإجابة على التساؤل وذلك من خلال إعطاء (إنسان) معنى ذكوريًا خالصًا، وبرهان ذلك الصفات الذكورية التي وردت في آخره، وهي تتعلق بعضو تناسلي ذكري (الخصية). فمن هذه الصفات الإحدى والأربعين، ثلاث صفات ذكورية خاصة هي: "أنفخ، آدر، أشرج".

الفصل7: وهو ظاهر الاختصاص بالذكر، وقد أتى بعنوان "في معايب الرجل عند أحوال النكاح". (مع ملاحظة إتيان الاختصاص بالذكر مع إيراد كلمة "الرجل" في العنوان)!.

الفصول 8.9.10.11.12: تبتدئ هذه الفصول بـ (رجل)، على اعتبار أن هذه الصفات مما يمكن إطلاقه على الرجل في الحالات المحددة فيها. مع مراعاة أن هذه الصفات من الممكن أن تنطبق على كلا الجنسين، ولكن الثعالبي اختار أن تأتي جميعها في صيغة المذكر.

الفصل13: وعنوانه "في قلة الغيرة" ففيه ست صفات، اثنتان منها أحيل فيها إلى مذكر، مثل: "فإذا كان يتغافل عن فجور امرأته" "فإذا تغافل عن فجور أخته..".

الفصل:14 وحتى الفصل 23: تحتمل جميعها أن تنطبق على الرجل أو على المرأة، ولكنها صُدِّرت بـ "إذا كان الرجل...".

الفصل الرابع والعشرون عُنوِن بـ "فصل في تفصيل الأوصاف المحمودة في محاسن خَلْق المرأة" وهو يبدو تخصيصًا للمرأة وتمييزًا عن الرجل، ولم يفرد شبيهًا بهذا الفصل في (محاسن خلق الرجل)!. ولكننا نجد المقابل في الفصل السادس المعنون بـ "في معايب خلق الإنسان...".

وقد فصَّل الثعالبي فيما يصح أن يطلق على المرأة من محاسن الصفات الجسدية، والتي قدم فيها وصفًا دقيقًا بدءًا بكونها شابة -بشكل عام- إلى أن ينتهي إلى التقسيم الجزئي حيث يحسن في المرأة (انعدام حجم المرفق) و (ضيق ملتقى الفخذين)!... ويظهر جليًا أن جزءًا من هذه الصفات إنما هي من (ابتكار) الرجال، وذائقتهم، حيث نجد مجموعة من الصفات شديدة الخصوصية مما يحبذه الرجال ويطلبونه... لكن ما الشأن مع الصفات الأخرى التي من الممكن أن تنطبق على الرجال أيضًا؟. فهذا الفصل يشتمل على أربع وثلاثين صفة، ليست جميعها خاصة بالمرأة، فمنها صفات يمكن أن تطلق على الرجل أيضا كـ: بهكنة، وخرعب (انظر القاموس المحيط)، وكذلك عطبول: (انظر لسان العرب). كما أن عددًا من هذه الألفاظ وضعت لوصف مشترك لا يختص به جنس عن الآخر في وقوعه، كـ (خدلجة، مرمارة، بضة، رشوف، أنوف)، إلا من حيث التصاق تاء التأنيث بها للمرأة، لكنها –في الواقع- لا يستحيل تحققها في الذكر أيضًا.

الفصل 25: هذا الفصل يتعلق بمحاسن المرأة الأخلاقية، و(سائر أوصافها). وفيها صفات يمكن أن تطلق على الذكر أيضًا. ويشتمل هذا الفصل على

ست وأربعين صفة، تتوزع بين ما يمكن عدُّه حسنًا، وبين ما يمكن عدُّه محايدًا، مع ملاحظة أن الثعالبي لم يحدد نوع هذه الصفات.

ويُلاحظ أن كثيرًا من الصفات الواردة في هذا الباب، تدور حول علاقة المرأة بزوجها أو بأبنائها، فنجد المرأة: "إذا كان لها زوج ولها ولد من غيره، فهي لفوت فإذا كان لزوجها امرأتان وهي ثالثتهما، فهي مثفاة، شبهت بأثافي القدر فإذا مات عنها زوجها أو طلقها، فهي مراسل، عن الكسائي فإذا كانت مطلقة، فهي مردودة فإذا مات زوجها، فهي فاقد فإذا مات ولدها، فهي ثكول فإذا تركت الزينة لموت زوجها، فهي حاد ومحد فإذا كانت لا تحظى عند أزواجها، فهي صلفة فإذا كانت غير ذات زوج، فهي أيم وعزبة وأرملة وفارغة فإذا كانت ثيباً" وتتعلق بأبنائها من حيث " فإذا كانت كثيرة الولد، فهي نثور فإذا كانت قليلة الأولاد، فهي نزور فإذا كانت تتزوج وابنها رجل، فهي بروك فإذا كانت تلد الذكور، فهي مذكار فإذا كانت تلد الإناث، فهي مئناث فإذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى، فهي معقاب فإذا كانت لا يعيش لها ولد، فهي مقلات فإن أتت بتوأمين، فهي متآم فإذا كانت تلد النجباء، فهي منجاب فإذا كانت تلد الحمقى، فهي محماق" أما الصفات الأخرى التي قد تنطلق من ذاتها فهي كما يراها الثعالبي "حصان، ونوار، وصناع، وذراع". وحينما نقارن (الحسن) من هذه الصفات بـ(الحسن من صفات الرجال) فإننا نجد الفصول السابقة (انظر: 19 وحتى 23)، تنطلق فيها الصفات الكريمة من الذات وهي مما اختص به الرجال، ولا نرى للمرأة وصفًا لكرمها، أو ظرفها، أو رجاحة عقلها عدا وصف واحد هو: "فإذا كانت نصفًا عاقلة فهي شهلة كهلة".

أما الفصل السادس والعشرون: فهو بعنوان: "في نعوتها المذمومة خَلقًا وخُلُقًا" فيشتمل على خمسين صفة، أربع وعشرون من هذه الصفات اختصت بأوصافها (الخَلقية). أما عدد ما تختص به النساء طبيعةً، بحيث لا يمكن أن

يشترك فيها الرجل، فهي سبع صفات، وهي "وطباء، طرطبة، جدَّاء، الشريم، ضهياء، رتقاء وعفلاء".

أما الصفات "الخُلُقية" فهي ست وعشرون صفة، وكلها مما يمكن أن يشترك الرجل فيها. وكثير من هذه الصفات مما يركز على علاقة المرأة بالرجل (انظر: قرثع، جلعة، طلعة، قبعة، صدوف، فاركة، قرور...). أما حول علاقة المرأة بالمرأة، أو الصفات النابعة من ذاتها "كالبخل، أو الكذب، أو اللؤم"، فلم يرد لها ذكر في هذا الفصل.

**المناقشة والنتائج:**

يمثل هذا الباب (السابع عشر: في ذكر ضروب الحيوان) أساس البحث، جمع فيه مؤلفه الثعالبي الصفات التي يمكن أن تسند لكل ضروب الحيوان، ويعني بها الكائنات الحية، فتشمل الجن والإنسان: الرجل والمرأة، والخيل، والإبل، والغنم والحشرات والحيات... وفصَّل في صفات كل من هذه الأجناس، وكانت عناوين فصوله تدور حول الصفات حسنها ورديئها و(سائر أحوالها). ويُلحظ تقسيمه لصنف (الإنسان) إلى نوعين: ذكر وأنثى، وإفراده فصولًا لصفات الرجال، وأخرى للنساء، كما أنه جعل لـ"الإنسان" -بوصفه مفهومًا- فصولًا مستقلة، ومثل هذا التقسيم يدفع إلى التساؤل إذا كان الثعالبي دقيقًا في هذه التقسيمات، وهل كل تقسيم من هذه الثلاثة يدل على شيء محدد؟ فعلى سبيل المثال: الرجل يعني الذكر، والمرأة تعني الأنثى، والإنسان يعني الجنسين كليهما. وهذا ما كان (مُتَوقعًا مسبقًا)، لكن النتيجة التي توصلتْ إليها هذه الورقة في تقصي هذه الصفات، خلصت إلى أن الثعالبي لم يكن دقيقًا في صياغة عباراته، سواء في الأبواب، أو تقسيم الفصول، أو كتابة العناوين، كما توصلت إلى أنه في تخصيصه لصفات

لجنسٍ لا تعني حصرها عليه، وإنما يجوز أن تطلق على الجنس الآخر، وذلك في دراسة مقارنة مع معجمات أخرى.

ففي الفصل السادس، المعنون بـ (في معايب خلق الإنسان سوى ما مرَّ منها فيما تقدمه)، نجده يورد صفات يصح أن يتصف بها كلا الجنسين (الذكر والأنثى)، فنكاد حينها نميز (الإنسان) بأنه لفظ يشمل الجنسين، إلا أن الثعالبي يورد في آخر هذا الفصل ثلاث صفات مما اختص بها الذكور، تتعلق بأعضائهم التناسلية "أنفخ، آدر، أشرج"، وهذا الإيراد في ضمن هذا الفصل قد يعطي دلالة على أن الإنسان لدى الثعالبي لفظ يطلق على (الذكر) فقط، وإلا لأورد صفات تختص بها النساء كذلك، غير أنه من الممكن تفسير ذلك بأن للمرأة خصوصية جسدية، تدعو الثعالبي دائمًا إلى تخصيصها بفصول.

كما نجد أن لفظة (رجل) وردت ست عشرة مرة في الأبواب المدروسة، وقد وردت مرة في عنوان الفصل السابع "في معايب الرجل عند أحوال النكاح"، وهذا الفصل يدل بشكل صريح على أن محتواه مما يختص به الذكر وحده. فهل كلمة (رجل) تعني الذكر وحسب!. هذا تساؤل جدير بالطرح، لأننا لو سلمنا بأن ورود كلمة (ذكر) في فصلٍ تحيله إلى (التذكير في الصفات) فسوف نستبعد كثيرًا من الصفات في الفصول الأولى من أن تكون صالحة لأن تطلق على الأنثى. إلا أن الدراسة المتأنية لهذا الباب تعطي إشارات أن مفهوم (الرجل) مشتت، وغير دقيق. فلو نظرنا إلى الفصول الأخرى التي تتعلق بصفات (محايدة جنسيًا) مما يمكن أن تطلق على الذكر أو على الأنثى، فإننا نجدها جميعها مشتملة على الضمائر المذكرة، أو على الصيغ الصرفية المذكرة، كما في: " في ترتيب صفات المجنون" فـ: المجنون صيغةٌ وُضعت للمذكر، والمؤنث منها هو "مجنونة"، أو كما في المثال "إذا كان به أدنى حمق وأهونه فهو أبله..." وهنا استخدام لضمير المذكر (ه)... وإيراد كلمة رجل في الصفات الأخرى يحيل بنا إلى أن هذه الصفات إنما هي مما يختص

بالرجال، ويقوى هذا الزعم إذا اطلعنا على الفصل السابع، الذي ذكر فيه لفظ (الرجل) وأتى بصفات تخصه. يضاف إلى ذلك إفراد الثعالبي فصولا خصَّ النساء بها كـ (24-25-26)، لكن الملاحظ أيضًا أن هذه الفصول قد تأتي بصفات من الصفات العامة التي يشترك فيها الجنسان. وقد بينّا ما اختصت به المرأة من صفات لا يمكن أن يشترك معها الرجل، ولكنها قليلة إذا قورنت بالصفات الأخرى. وهنا نجد مصطلح رجل يغلب عليه أن يكون مذكرًا.

وقد يكون جديرًا التساؤل عن موقع المرأة في هذا الباب، وهل يجوز أن تعد هذه الصفات شاملة للرجل والمرأة معًا؟.

المرأة -كلفظ- لم ترد في هذا الباب إلا مرة واحدة، وذلك في عنوان الفصل الرابع والعشرين "في تفصيل الأوصاف المحمودة في محاسن خلْق المرأة"، ومن ثم نجد المؤلف يستخدم ضمير الغائب في كل ما يتعلق بالمرأة في صفات هذا الفصل وفي الفصول اللاحقة!. مثال: " إذا كانت شابة حسنة الخلق فهي خود..." فصل 25 " إذا كانت حيية فهي خفرة وخريدة..." الفصل 26 " إذا كانت نهاية في السمن والعظم فهي قيعلة". وفي هذا تغييب تام للمرأة في ذاتها، وجعلها ضميرًا غائبًا، وهو ذاته الفكرة التي دائما ما يتطرق لها النسويون –أصحاب الحركات النسوية- ممن يزعم أن اللغة هي صنيعة الرجل، وقد فصَّل الغذامي في كتابه (المرأة واللغة) في فصل: ضمير اللغة، حيث عرض لأن المرأة بنفسها تقوم بإضمار ذاتها من خلال استعمال الضمير المذكر، فتكون جزءًا من الذكر الذي –بحسب ابن جني- هو الأصل في اللغة. (الغذامي:ص21). ونجد الثعالبي لا يفضل التصريح بالمرأة في إطلاق كلمة (المرأة) في هذا الفصل تحديدًا وفي كتابه بشكل عام، وهو السبب الذي دفع إلى إيراد كلمة (امرأة) لتصبح مرة واحدة في الفصل السابع عشر، و بما لا يزيد عن 25 مرة في الكتاب بأجمعه.

أما كلمة (رجل) فقد حظيت بالعناية حيث وردت 16 مرة في هذا الباب وحده، أما في بداية الفصول، فقد وردت في الفصول التالية: (4،8،9،11،12،14،15،17،18،21،22). وقد يُفهم أن هذه الصفات التي وضعت في هذه الفصول إنما هي مما يختص به الذكور، وذلك بتصديرها بكلمة (رجل) أو باستعمال الضمير المذكر فيها دائمًا، وهو الموضوع الذي نوقش فيما سبق، وهذا التتبع يقودنا إلى النظر في قيمة المرأة في كتاب الثعالبي، وهل من الممكن أن تُعدَّ إنسانًا، إذ إنه في تصنيف صفات الإنسان أورد صفات خاصة بالذكور لا يمكن أن تشترك فيه الأنثى، وهذا يساعدنا في تحديد مفهوم (إنسان) بالنسبة للثعالبي، على وجه خاص في هذا الفصل (السابع عشر).

وبمقارنة هذه التحليل للباب السابع عشر بما خلصت إليه بحوث أخرى، وأخص بذلك (وإيذرال)، يمكننا القول إن الثعالبي عمد إلى تغييب المرأة، من حيث إضمارها في الرجل، وعدم الإشارة إليها إلا نزرًا يسيرًا، فلم تذكر كلمة امرأة إلا مرة واحدة فقط في هذا الباب بأكمله، كما أنه فضَّل استعمال ضمير الغائب في جميع صفاتها الخاصة بها في الفصل الذي عقده لها (الفصل الخامس والعشرون)، إضافة إلى أنه ضيَّق من تحديده للمرأة، فكانت صفاتها (الحسنة والسيئة) مما يُحتكم فيه إلى الرجال، ومنطلق من رؤيتهم للمرأة ككائن جنسي (حيث نجد أوصافًا تتعلق بأعضائها الجنسية وأوضاعها)، أو نظرتهم لها ككائن (اجتماعي له دور محدد) يتمثل كأم أو أخت أو ابنة أو زوجة، فتأتي الأوصاف متعلقة بهذه المعاني، أما ما يرتبط بكونها (كائنًا من بني البشر) فلا نجد لها تخصيصًا بذلك، بل إن الفصول التي تحدثت عن الصفات البشرية العامة (الكرم، البخل، المناقب الشخصية...) فإنها كانت مصدرة بكلمة (إذا كان الرجل..) أو مصوغة بضمائر وإحالات مذكرة، بل إن كلمتي (إنسان) و (رجل) استعملتا كصفتين مما يختص بها الرجال وحدهم، وبذلك قد تخرج المرأة من كونها

(إنسانًا). نضيف إلى ذلك أن الصفات التي وضعت للمرأة دائمًا ما تحمل الإيحاء السلبي مقارنة بما للرجل، فكونها (سليطة) مصنف ضمن النعوت المذمومة، بينما وصف الرجل بالسليط يعني "فصيح، حديد اللسان" (كما لدى لسان العرب). بل إننا لو خرجنا قليلًا عن الباب المدروس (السابع عشر) إلى باب آخر للمقارنة بين الصفات الذكورية والأنثوية، وكيف يعرضها الثعالبي لرأينا (احتقار المرأة و شيطنتها) و (اكتساء الكلمات معاني سلبية) جليًا واضحًا، كما في الباب الخامس، الفصلين السابع والثامن، كما يلي:

الفصل السابع: "ترتيب ضخم الرجل: رجل بادن، إذا كان ضخمًا محمود الضخم، ثم خِدّب إذا زادت ضخامته زيادة غير مذمومة. ثم حنبج وجنبح إذا كان مفرط الضخامة، ثم جلندح إذا كان نهاية في الضخم..."

الفصل الثامن: "ترتيب ضخم المرأة: إذا كانت ضخمة في نعمة واعتدال فهي ربحلة، فإذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبحلة، فإذا دخل ضخمها في حد ما يكره فهي مفاضة، فإذا أفرط ضخمها مع استرخاء لحمها فهي عفضاج."

نلحظ في هذين الفصلين تقابلًا بين صفات الضخامة لكل من الجنسين، وقد بلغا أربع صفات لكل جنس، مما يفترض أن هذه الصفات تأخذ نسقًا واحدًا. لكننا نجد المرحلة الأولى حيث يكون الضخم (محمودًا) فالرجل يسمى (بادنًا)، بينما المرأة (ربحلة) والاختلاف في أن هذه الصفة رُبطت بشرطين هما (في نعمة، وفي اعتدال). ثم نجد الصفة الأخرى، هي (خدب) للرجل إذا بلغت ضخامته حدًا غير مذموم (أي مقبول)، بينما المرأة (السبحلة) فهي الضخمة التي لم تقبح، وهنا نلحظ ضابط (زيادة غير مذمومة) للرجل، و (لم تقبح) للمرأة. وبالعودة إلى معجم الصحاح في اللغة، نجد أن الصفتين المتواليتين (بادن) و(خدب) يمكن أن تطلقا

على الرجل والمرأة معًا، بينما لفظتا (ربحلة) و(سبحلة) فهي خاصة بالمرأة، ولا يكاد يفرق بينهما (الصحاح) في دلالتهما.

بل إننا نجد صفة (سبحلة) في الصحاح كالآتي: السِبْحَلُ: الضخمُ من الضبّ، والبعيرِ، والسِقاءِ، والجاريةِ." فهي اختصت بالمرأة، مقرونة بحيوانين وجماد، ولم يذكر الرجل فيها. (كثيرًا ما تشبه المرأة بالحيوان، أو تسمى أو توصف بالحيوان أو حتى بالجماد: انظر: (Baider. Gesuato, 2005, p. 7). كذلك الأمر في صفة "حنبج وجنبح" حيث اختصتا بالرجال (راجع: حنبج، لسان العرب)، كما نلحظ "مفضاة" صفة خاصة بالمرأة، فيذكر الصحاح: "وامرأةٌ مُفاضَةٌ، إذا كانت ضخمة البطن". فهذه كلمات أخذت إيحاءً سلبيًا حينما وصفت بها المرأة، بينما إذا استعملت للرجل فإنها لا تكاد تكون بذات السوء على أقل تقدير. كما تمكن الملاحظة في الفصل 23 من الباب 10، حيث أورد تقسيمًا للقبح، ذكر فيه: "... فعلة شنعاء، امرأة سواء،..." ولم يأت للذكر شيء في هذا التقسيم، بل خصَّ الأنثى به وحسب!

**خاتمة:**

في خاتمة هذه الورقة، فإنه بإمكاننا القول إن ما كتبه الثعالبي كان جهدًا لغويًا جيدًا، يعكس الحالة الاجتماعية والفكرية للمجتمع آنذاك، وانعكاس ذلك بادٍ سواء في منهجية التأليف، كـ (الضعف في ترتيب الأبواب، وارتباطها ببعض، والتداخل بين بعض هذه الحقول، أو احتوائها على فصول لا تتعلق بها، أو حتى احتواؤها على كلمات لا تنتمي لذات الحقل الدلالي) وهذا هو الأمر الذي جعل عمل الثعالبي ليس تطبيقًا مثاليًا لنظرية الحقول الدلالية (زواوي، 2008، صفحة 65). وهذه المنهجية هي مما اتصفت به معجمات الموضوعات العربية القديمة بشكل عام (عمر، 1998، صفحة 109).

وقد حاول هذا البحث تمحيص الفرضيات التي صُدِّر بها، كما سعى إلى الإجابة على أسئلة البحث بشكل مدلَّل ومبرهن، وخلص هذا البحث والتحليل إلى عدة نتائج :

- كتاب الثعالبي لم يكن دقيقًا في استعمال الألفاظ، فبعضها غير واضح الدلالة، مشتت المعنى، قد يأتي –فيما يظهر- مقصورًا على المؤنث، فإذ به يصح استعماله للمذكر .
- عدم الدقة في حسم المفاهيم الأساسية كـ (رجل) و(إنسان)، مما يؤدي إلى الخلط في الصفات ونسبتها لمناسباتها، بل قد تصل إلى أن تساوي بين كلمتي (إنسان) و (رجل)، وهو الأمر ذاته الذي اتصفت به بعض المعجمات الفرنسية القديمة، كما ذكرت مارينا ياغيلو.
- يمثل الكتاب مثالًا جيدًا للبحوث التي خلصت إلى أن الفكر التقليدي (خاصة القديم) يتعامل مع المرأة من خلال ثلاث طرائق: تغييبها وتجاهلها، أو احتقارها

وشيطنتها، أو تحديدها في إطار ومعنى ضيقين. وهي الأمور التي برهنت هذه الورقة عليها .

• في حال تطبيق التحليل المبني على نظرية الحقول الدلالية، فإننا سوف نجد أن هذا الكتاب يشتمل على الكثير من الفجوات المعجمية، ومثالها فيما يتعلق في بحثنا هذا (الباب السابع عشر)، الألفاظ التي تصف الرجل جسديًا، والألفاظ التي تصف المرأة من نواحٍ أخلاقية تتميز بها عن الرجال.

• كما أكد الكتاب في عرضه أن المرأة تُعرض من حيث شكلها، والرجل من حيث فعله.

• بالإضافة إلى أن المرأة تعرّف من خلال دورها الاجتماعي، ونظرة الرجل لها، لا من خلال ذاتها.

• وأخيرًا، فالدلالة الإيحائية للألفاظ المستعملة للمرأة تنحو إلى السلبية، بينما الرجل فإلى الإيجابية.

• قد يكون من الإنصاف أن تكون نتائج هذه الدراسة محصورة في كتاب الثعالبي وحسب، وألا تعمم نتائج التحليل على ما سواه من المراجع

**قائمة المراجع:**

أبوأوس إبراهيم الشمسان. (1433). *دراسات لغوية*. الرياض: جامعة الملك سعود.

أبي منصور عبدالملك الثعالبي. (2002). *فقه اللغة وأسرار العربية*. بيروت: المكتبة العصرية.

أحمد مختار عمر. (1998). *علم الدلالة*. القاهرة: عالم الكتب.

الطاهر لبيب. (بلا تاريخ). *سوسيولوجيا الغزل العربي، الشعر العذري نموذجا*. (مصطفى المسناوي، المترجمون) دار الطليعة.

ريم سليمان. دعاء بهاء الدين. (6 10، 2012). *تحقيقات*. تم الاسترداد من سبق: http://sabq.org/iZPo5d

سعاد المانع. (1998). النقد الأدبي في الغرب وانعكاساته على النقد العربي الحديث. *مجلة كلية الآداب*.

سيبويه. (1988). *الكتاب* (الإصدار 3). القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبدالله الغذامي. (2006). *المرأة واللغة* (الإصدار الثالثة). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عيسى برهومة. (2002). *اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة*. عمّان: دار الشروق.

ليندة زواوي. (2008). *فقه اللغة للثعالبي، دراسة دلالية*. قسنطينة: جامعة منتوري.

ياغيلو، مارينا. (بلا تاريخ). *صفحة الترجمات*. (سعيد بنكراد، المحرر) تاريخ الاسترداد 13 04، 2013، من موقع سعيد بنكراد: http://www.saidbengrad.net/tra/ar/page7-2.htm

Ann Weatherall .(2002) .*Gender, Language and Discourse* .New York: Routledge.

Anna Wierzbicka .(1997) .*Understanding Cultures through Their Key Words: English, Russian, Polish, German, and Japanese* .New York: Exford University Press.

Baider. Gesuato .(2005) .Masculinist Metaphors, Feminist research .*metaphorik.de*.35-6 ،

Dirk Geeraerts .(2010) .*Theories of Lexical Semantics* .New York: Oxford University Press.

Dirk Geeraerts, Hubert Cuyckens .(2007) . *The Oxford Handbook of Cognitive Linguistics* .Oxford: Oxford University Press.

Fromkin, V. Rodman, R. Hyams, N .(2003) .*An Introduction To Language* .(7 الإصدار) Boston: Micheal Rosenberg.

Jane Sunderland .(2006) .*Language and Gender* .London: Routledge.

Linda Thomas, Shân Wareing, Ishtla Singh, Jean Stilwell Peccei, Joanna Thornborrow and Jason Jones .(2004) .*Language, Society and Power* .London: Routledge.